تحقيق أسماء ملوك مصر القديمة
فى كتابات المؤرخين العرب

دكتور

محمد صلاح محمد أحمد الخولى

قسم الآثار المصرية

بكلية الآثار - جامعة القاهرة

تحقيق أسماء ملوك مصر القديمة

فى كتابات المؤرخين العرب

وجه المؤرخون العرب اهتماماً كبيراً بمصر وآثارها وعمائرها(*) التى إستوقفتهم كثيراً وأثارت إعجابهم وكذلك بتاريخها وتاريخ من حكمها من الملوك والأجناس المختلفة . ولعل السبب الأساسى والأول وراء اهتمامهم هذا أن مصر كانت قبل غيرها مسرح الأحداث الأول لكثير من قصص الأنبياء الذين نزلوا مصر مثل سيدنا يوسف وخبره مع امرأة العزيز والفرعون وسيدنا موسى وخروج بنى إسرائيل معه من مصر ومن قبلهما سيدنا إبراهيم عليه السلام .

ولقد استندوا فى رواياتهم عن تاريخ مصر وأخبار من حكمها على مصادر متعددة وكان أولها ما نقلوه عن مصادر التوراة وما كتبه الاسرائيليون ، أيضاً على بعض المصادر الكلاسيكية من روايات الكتاب والرحالة الإغريق والرومان . ثم مصدر ثالث من روايات المواطنين المصريين أنفسهم أما المصدر الرابع فهو على ما يبدو من ابتداعهم وغلب عليه طابع الخيال والمبالغة وتأثروا فى ذلك بما تواتر إليهم من أخبار الأقوام البائدة مثل عاد وثمود . . وسحبوها على مصر لما جمع بين هذه الأقوام من القوة والشدة والجبروت والعلو فى البنيان . فأطلقوا على بعض من حكم مصر أسماء سامية عربية تبدو شائعة لديهم ولعلها كانت مرتبطة بقوم عاد وثمود وغيرهم .

وهكذا قدمت لنا مصادر هؤلاء المؤرخين عدداً كبيراً من أسماء الملوك الذين حكموا مصر فى شكل متباين وغير مترابط . وتبدو هذه الأسماء للوهلة الأولى بعيدة تماماً عن الأسماء المعروفة الآن لملوك مصر ، غير أن ما سجلوه عنها من أخبار وما ارتبط بها من أحداث ومواقف يعطى لهذه الأسماء قدراً من الصدق ويسمح مع التحليل بتحقيقها وربطها بنظائرها الحقيقية وهذا هو ما يستهدفه البحث فى الصفحات التالية .

(*) مثل الأهرام والبرابى وغيرها . جمع بربه وهو اللفظ المصرى للمعبد (P3 r3 - Pr) .

وضع الورخون العرب تصوراً للأجناس التى حكمت مصر عى الوجه التالى : الجبابرة ، العمالقة ، اليونان ، الفراعنة والقبط[١] . وهو تصور ينقصه الدقة والترتيب وإن تضمن بعض الصواب . غير أن أبو الحسن الوزان الشهير بليون الإفريقى يرسم لنا تصوراً أكثر دقة وأقرب للواقع فيقول : إن مملكة مصر دامت خالصة للمصريين مدة طويلة وهم الفراعنة الذين كانوا ملوكاً أقوياء عظماء كما شهد بذلك آثار المبانى الأنيقة العجيبة ، ومازال التاريخ يتحدث عنهم وعن البطالسة ثم سقطت مصر أثر زواج (كليوباترا) التى كانت ملكة وقتذاك من قائد رومانى كما تذكره التاريخ[٢] .

وقد أصاب بعضهم فى تقدير عمر المملكة الفرعونية وذلك استناداً على ما ذكروه من أن عمر القلم الهيروغليفى بلغ ٤٠٠٠ عام من وقتهم[٣] .

ثم يحاول السعودى أبعد من ذلك تحديد عدد من حكم مصر من مصريين وغيرهم تحديداً جانبه الصواب فيقول : « أن عدة ملوك مصر الذين اتفقت عليه التواريخ ٣٢ فرعوناً ومن ملوك بابل ممن تملك مصر خمسة ومن ملوك بابل (ويقصد العماليق) الذين ظهروا عليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونان عشرة . وذلك قبل ظهور المسيحية[٤] وقدر مدة حكمهم بحوالى ١٣٠٠ عام[٤] فبعد بهذا التقدير بعداً كبيراً رغم أن تقديره لعمر القلم الهيروغليفى كان صائباً ولو ربط بينهما لصح تقديره .

ولقد ربط بعض المؤرخون بين ترتيب من حكم مصر وبين حدوث الطوفان الذى لم يذكروا له تاريخاً واضحاً وميزوا بين دورتين تاريخيتين ، الدورة الأولى قبل الطوفان والثانية تشمل الملوك الذين حكموا بعد الطوفان واختلطت لديهم بعض أحداث الفترتين فمثلاً جعلوا مدينة منف أول مدينة بنيت بعد الطوفان على حين ذكروا بعض الملوك الذين نسبوا إليهم بناء الأهرام وسلكوهم ضمن الملوك الذين حكموا قبل الطوفان كما سيأتى فيما بعد . . . واتفقوا جميعاً - غالباً لاعتمادهم على مصدر أساسى هو التوراة ، فى أن أصل المصريين يرجع إلى مصرايم وهو إبن بيصر بن حام بن نوح . وبيصر هو الذى بنى مدينة

(١) ابن إياس الحنفى ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص٤ ، (ت ٧٦١ هـ / ١٣٦٣ م) .
(٢) أبو الحسن الوزان (جون لون الإفريقى) (ق ١٠ هـ/١٦ م) وصف إفريقيا ص ١٨٩ .
(٣) المسعودى ، مروج الذهب (ق ٤٠ هـ / ١٠ م) ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

منف[١] وهى أول مدينة بنيت بعد أمسوس التى محاها الطوفان[٢] ، واعتبر بيصر أبو القبط[١] وجاء تسلسل أبناء نوح حتى مصر أو مصرايم على هذا النحو[٣] .

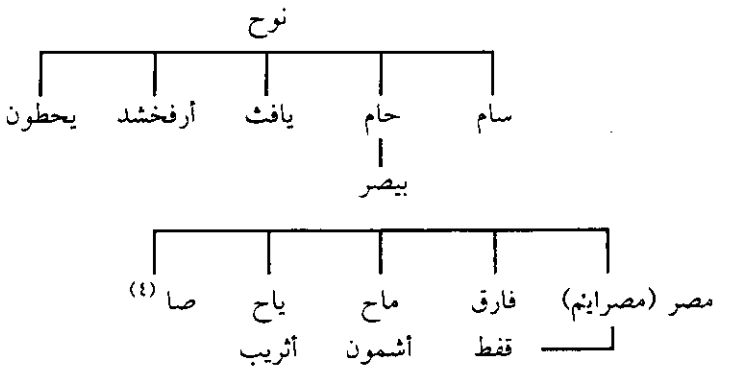

اتفاق هذه المصادر على أن بيصر بن حام هو أول من سكن مصر بعد الطوفان وأن منف بنيت فى وقته (وقد ردد هذا أيضاً الراهب المصرى القبطى الذى جالس أحمد بن طولون وحاوره لفترة)[٣] ، يجعلنا نفترض حدوث الطوفان فيما قبل تكوين الأسرة الأولى المصرية وتحقيق الوحدة السياسية .

ونذكر فيما يلى أسماء الملوك الذين حكموا مصر فيما سجلته مصادر المؤرخين العرب قبل وبعد الطوفان على ما فيها من غرابة وعدم توافق ولكن على سبيل المعرفة بها ثم نحاول فى الصفحات التالية التركيز على ما يمكن تحقيقه منها ومطابقته بماهو ثابت ومؤكد من أسماء ملوك مصر .

---

(١) ابن إياس الحنفى ، المرجع السابق ص ٧٤ ، ٧٥ وإن جعل أبو الحسن الوزان ، المرجع السابق مصرائيم هو ابن كوش بن حام بن نوح على غير ما جاء فى التوراة من أن مصرائيم هو ابن حام وأخو كوش (سفر التكوين الفقرة ٦) ، المسعودى المرجع السابق ص ٣٥٧ .

(٢) ابن إياس الحنفى المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ وكانت أمسوس أول دار للملك قبل الطوفان .

(٣) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٧ .

(٤) بن عبد الحكم ، نزهة الأمم ص ٧٥ (فتوح مصر ص ٨ ، ٩) ، وواضح أنها أسماء محتلفة مأخوذة من أسماء المدن المصرية المعروفة ولكن افترض هو العكس .

أولاً : فيما قبل الطوفان

ذكر إياس[1] أن أول من حكم مصر قبل الطوفان ملك ذكره باسم « تبليل الألسن » هو من أولاد قابيل الذين نزلوا مصر مع عمهم « شيث » بن آدم وسكنوا بالوادى بينما سكن هو فوق الجبل . وظلوا يتوارثونها إلى أيام إدريس (أخنوخ) . ثم تولى من بعده إبنه « نقراؤش » الجبار . ومن بعده أبناؤه الثلاثة على التوالى ، نقراش ثم مصريم ثم عيقام ثم ابن للأخير إسمه عرياق ثم إبنه لوجيم ثم إبنه خعيلم (وكان عالماً بالهندسة) . ثم إبنه قنال (بعث نوح فى عهده) ثم تولى بعده إبنه تدرسان (مات غرقاً) ثم إبنه سرقاق ثم شهلوق . ويلى ذلك مجموعة من الأسماء صاحب ذكرها بعض الدلالات الهامة وهم الملك « سورشيد » إبن الملك السابق وكان أغنى ملوك مصر وإرتبط بإسمه بناء الأهرام ومعرفة السحر .

ثم إبنه هوجيب وإرتبط باسمه بناء الأهرام .

ثم إبنه منقاوس وكان ملكاً جباراً عنيداً .

ثم إبنه أفرؤس وكان عادلاً .

ثم إبنه أفالينوس الذى مات ولم يترك وريثاً .

ثم إبن عمه فرعان ؟ وكان جباراً وقد وقع فى عهده الطوفان .

ثانياً : بعد الطوفان

يبدأ تسلسل أسماء من حكم مصر بعد الطوفان فيما ذكره المسعودى[2] باسم بيصر بن حام بن نوح ومن بعده إبنه مصريم ثم إبناءه المشار إليهم من قبل على أسماء مدن مصر (قبط ، اشمون ، أتريب ، صا)[*] . وبعد ذلك حكم ماليق بن دارس ثم حرايا بن ماليق ثم كلكى بن رايا ثم ماليا بن حرايا .

---

(١) إبن إياس الحنفى المرجع السابق ص ٦٤ - ٧٤ .

(٢) المسعودى، المرجع السابق ، ص ٣٥٧ وأضاف ابن إياس أسماء أخرى إلى جانب ما ذكره المسعودى.

(*) على خلاف ذلك اعتبر ابن إياس (المرجع السابق ص ٧٥) أن مصريم هو أخ لهم وليس أبيهم .

ثم حكم من بعده لوطس أو طوطس بن مـاليا كما ذكره ابن عبد الحكم[١] وذكر ابن إياس إسماً آخر يقابله هو قرسون[٢] ، ولم يكن لطوطس هذا وريثاً ذكراً فحكمت من بعده إبنته حوريا (جوريا) ثم امرأة أخرى هى زالفا بنت ماموم[٣] (وكان المسعودى قد ذكرها فقط باسم ماموم) وهذه يقابلها عـند ابن إياس «نونيه الكاهنه »[١] وحسب المسعودى كانت هى آخر ملكـة حكمت ومن بعدهـا حكم العماليق غـير أن ابن إياس يضيف اسـم ملك آخر اغتصب الحكم من زالفا وبعده أتى العماليق ، وهو « مرقوس »[٢] .

ويلى ذلك تسلسـل الملوك الذى وصفوا بالعماليق من ملـوك الشام وقد وردوا بأسماء سامية على النحو التالى :

الوليد بن دومع

ثم إبنه الريان بن الوليد (فرعون يوسف)

ثم دارم بن الوليد / بن الريان

ثم كامس بن معدان وذكره ابن عبد الحكم باسم كشم بن معدان[٣]

ثم الوليد بن مصعب وذكر بإسم آخر هو « طلما / ضلما ظلما » وهو فرعون موسى

ثم حكمت من بعده بعد غرق آل فرعون ملكة يقال لها دلوكة .

ثم تلاها مجموعة من أسماء الملوك اختلفت فـى شكلها عما سبق ونذكرها فيما يلى حسب نطقها وترتيبها عند ابن عبد الحكم[٤] مع مقابلتها بنظائرها عند المسعودى .

دركون بن بلوطس ذكره المسعودى « دركوس بن بلوطس » أو «دركوش بن بلوطس»

ثم إبنه بودس ، ذكره المسعودى « بورس » أو « نورش بن دركوش »

ثم لتكس بن تدارس ويقابله عند المسعودى فغامس بن بورس

هناك احتمال خطأ عند ابن عبد الحـكم وأن كلاً من تدارس ومرينوس يقابلان بورس ثم أخوه مرينا بن مرينوس ولعل الذى يقابله عند المسعودى هو دينا (مرينا) بن بورس

(١) ابن عبد الحكم المرجع السابق (فتوح مصر) ص ١٢ .

(٢) ابن إياس المرجع السابق ص ٧٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٢ ، ١٣ ، حيث ذكرها اسم زالفا ، زالقا وهى إبنة عم حوريا .

(٤) ابن عبد الحكم المرجع السابق ص ٢٨ ، المسعودى المرجع السابق ص ٣٦٤ .

ثم استمارس بن مريناكيل وذكره المسعودى باسم نمارس بن مرينا .

ثم بلوطس بن مناكيل وذكره المسعودى بلا تغيير .

ثم مالوس بن بلوطس .

ثم أخيه مناكل بن بلوطس وذكره المسعودى بلا تغيير . وبعده ذكر المسعودى بلوطس ابن مناكيل بن بلوطس

ثم إبنه بوله (فرعون الأعرج) وذكره المسعودى بلونا بن مناكيل .

ثم مرينوس بن باوله.

ثم لكاس بن مرينوس (أو العكس) وذكره المسعودى نقاس بن مرينوس .

ثم قومس (غزاه بخت نصر) وذكره المسعودى قوميس بن نقاس ثم أضاف المسعودى ملكاً آخر اسمه كابيل (غزاه بخت نصر) .

وقبل أن نبدأ فى تحقيق واستعراض الأسماء السابقة لابد أن نشير إلى بعض الملاحظات .

أولاً أن عدداً كبيراً من هذه الأسماء وبالأخص التى وضع أصحابها فيما قبل الطوفان تبدو بعيدة عن الواقع ولا سند لها ولعلها ابتداع أو اجتهاد شخصى من بعض المؤرخين كما يظهر من أسماء قبطيم وأتريب وصا وغيرهم .

ثانياً أن هناك خلطاً وتداخلاً لدى بعض المؤرخين فيمن جاء قبل أو بعد الطوفان وفى تحديد توقيته فمثلاً نجد ابن اياس يضع « نقراؤش » قبل الطوفان ويذكر أنه بنى مدينة أمسوس وهى أول دار للملك قبل الطوفان ثم نجده يذكر فى موضع آخر أن أحد أبناءه الثلاثة الذين حكموا من بعده وهو مصريم هو الذى بنى مدينة مصر[1] (أو تنسب له) ثم يعود ويذكر مصريم هذا أيضاً بعد الطوفان ويعتبره هذه المرة ابن بيصر بن حام بن نوح وينسب إليه بناء مصر ولكن يذكره هذه المرة باسم مصريم الثانى[2] ثم نجد ابن اياس يذكر أن نوحاً بعث فى عهد الملك قفال ويعود يسجل حادثة الطوفان بعد عدد من الملوك فى عهد الملك فرعان كما ذكر من قبل وهو أمر يصعب قبوله إلا إذا سلمنا بأن سيدنا نوح قد

(١) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ .

عاصر كل هؤلاء الملوك باعتبار أنه عاش ٩٥٠ عاماً . وعدا ذلك فإن ما ذكره المؤرخون من أخبار وأحداث ارتباطاً ببعض هؤلاء الملوك جدير بالملاحظة والبحث والتحقيق وهو ما نستهدفه فيما يلى :

فيما يتعلق بنقراؤش فقد ذكر حوله عدد من الأخبار الهامة فهو قد وصف بالجبار وأنه هو الذى بنى مدينة أمسوس وهى أول مدينة بنيت بأرض مصر وكانت دار الملك قبل الطوفان[١] . ونسب إليه أيضاً أنه هو الذى أصلح مجرى النيل وكان يتفرق قبل ذلك بين الجبلين وأنه لما مات (بعد حكم ١٨٠ عاماً) لطخ جسده بالقار (أى حنط) ودفن فى مدينة أمسوس قبل أن يمحوها الطوفان وخلفه من بعده أبناؤه نقاؤش (عاش فى أمسوس) ومصرايم وهو الذى بنى مدينة مصر (يقصد بها غالباً منف) ثم عيقام[٢] . واستناداً على بعض الأخبار السابقة التى نسبت إليه مثل تأسيس أول مدينة بمصر ونشاطه الخاصة بإصلاح مجرى النيل فلعله يمكننا الربط على حذر بينه وبين الملك مينا (نعرمر) الذى ينسب إليه تأسيس مدينة الجدار الأبيض (إنب حج) أول حاضره لمصر الموحدة وينسب إليه عند تشييدها أنه قام بتحويل مجرى النيل إلى الغرب منها عن طريق شق مجرى أو قناة فى جنوبها ثم عاد وأوصلها بالنيل عن طريق قناة أخرى إلى الشمال منها حتى يجفف المستنقعات التى كانت تغطيها[٣] . وعليه يكون اسم أمسوس اسماً مرادفاً أو محرفاً لها ذا لم نأخذ بحرفية ما ذكرته مصادر المؤرخين من أنها بنيت قبل الطوفان .

عدا ذلك فإنه يبقى احتمال آخر وهو ان اسم هذا الملك ربما ينطبق على أحد الملوك الغير معروفين فى عصر ما قبل الأسرات (الأسرة صفر) والتى حكمت الصعيد قبل التوحيد واستقرت فى مدينة ثنى (أبيدوس)[٤] بعد أن انتقلت من مدينة نخن (ادفو)[٤] وانطلق ملوكها من أبيدوس نحو توحيد مصر وتكوين الأسرة الأولى ونفترض هنا احتمال اتفاق اسم أمسوس مع اسم أبيدوس .

ثم يأتى بعد ذلك عدد من الملوك اهتم بعض المؤرخون بذكرهم وذكر أخبارهم وهم الملوك الأربعة سورنيد ، هوجيب ، منكاوس وأفرؤس . عن الأول تحدث ابن إياس نقلاً عن ابن وصيف شاه فذكر أن سورنيد كان من أغنى ملوك مصر وأن تولى بعد أبيه شهلوق

(١) المرجع السابق ص ٦٤ .

(٢) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) عبد اعزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها جـ ١ ، ص ٢٨٣ .

(٤) عن هذه المدن راجع المرجع السابق ص ٢١٠ ، ٢٧٩ - ٢٨٣ .

ونسب إليه علمه بالسحر وأنه صنع تمثالاً من حجر لأمرأة جالسه وفى حجرها صبى ترضعه ثم نسب إليه وهذا هو الأهم أنه هو الذى بنى الهرمين العظيمين بمصر وأودع فيهما أمواله وتحفه وكتبه[١] .

وأقرب الملوك الذين يمكن الربط بينهم وبين هذا الملك من ملوك مصر القديمة ، مع عدم التطابق التام فى الاسم لعله يكون الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة والذى ذكره مانيتون باسم Soris سوريس[٢] والمعروف أنه قد تحقق لمصر فى عهد الملك سنفرو درجة كبيرة من الثراء والرخاء الاقتصادى ، أما وجه التطابق الأساسى فلعله يتمثل فى بناء سنفرو لهرمين كبيرين فى دهشور بالإضافة إلى تكملة هرم أبيه فى ميدوم ونفترض فى هذا الصدد احتمال وجود خلط لدى المؤرخين فى نسبة الهرمين العظيمين بمصر (ويقصد بهما هرمى الجيزة الكبيرين)[٣] إلى سورنيد ونسبه هرمى دهشور إلى إبنه هوجيب والعكس هو المفترض .

أما الملك الثانى بعد سورنيد فهو إبنه الذى ذكره ابن إياس باسم هوجيب وذكر عنه أنه كان أيضاً عالماً بالسحر والكهانه وقيل أنه هو الذى بنى أهرام دهشور .

وبالنسبة لهذا الملك هناك احتمال كبير لتحقيقه مع الملك خوفو بان الهرم الأكبر فى أهرام الجيزة والذى ذكره هيرودوت باسم « كيوبس » مع افتراض حدوث خلط بينه وبين ابيه الملك سنفرو .

ثم تلا بعد ذلك ملكان ذكر الأول باسم منقاوس والثانى إبنه أفروس ، وعن الأول ذكر إبن إياس أنه كان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وكان مولعاً بحب النساء ، إذا سمع بإمرأة جميلة أخذها ، بينما قال عن الثانى أنه كان حسن السيره ، عادلاً فى الرعية وقد رد البنات والنساء اللاتى أخذن فى أيام أبيه[٤] .

وواضح هنا أننا أمام ترتيب معكوس وخلط فى أخبار هذين الملكين اللذين يمكن

(١) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٦٩ ، ٧٢ .

(٢) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 79.

(٣) قصد معظم المؤرخون والرحالة العرب بالهرمين العظيمين بمصر هرمى خوفو وخفرع بالجيزة على أساس أن هرم منكاورع الثالث لم يكن دائماً ظاهراً ، راجع عبد اللطيف البغدادى الإفاده والاعتبار (ت ٦٥٩ هـ) ١١٠ بغداد ١٩٨٧ ؛ البشارى المقدسى، أحسن التقاسيم (ق. ٤هـ/ ١٠م) ص ٣١٠ .

(٤) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٣ .

تحقيقهما مع كل من خفرع ومنكاورع حيث يمكن الربط بين أفرؤس وخفرع وبين منكاوس أو منقاوس ومنكاورع مع افتراض احتمال خطأ فى الترتيب وفى سرد الروايات عن كل من الملكين(*) إذ أن أخبار الظلم والجبروت والقسوة قد رويت (نقلاً عن هيرودوت) عن خفرع ومن قبله أبيه خوفو[١] وعلى العكس ارتبطت سيرة منكاورع لدى المؤرخين الكلاسيك بالعدل والتسامح[٢] .

وبعد الملوك السابقين ذكر ابن إياس اسمين تاليين هما أفالينوس ثم فرعان ابن عمه (ذكر أن الطوفان وقع فى عهده) وهذان يصعب تحقيقهما لما نعرفه من نهاية الأسرة الرابعة بشبسكاف ثم خنت كاوس وإن كنا نعلم بوجود ثلاثة أسماء أخرى قد أضافتها قائمة سقارة ولكنها فقدت[٢] .

وفيما يتعلق بمنكاوس فقد نسب إليه المقريزى خروجه بجيش كبير فى حملة ضد السودان (يقصد النوبة) فقتل وسبى واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنه لهم واقتطع معدن الذهب من أرضهم وشغلهم فى استخراجه وكان يحب الصيد وولد الكلاب السلوقية[٣] والأرجح أن هذه الأخبار وهذه الحملة قصد بها الملك سنفرو الذى سجلت حوليات حجر بالرمو حملته الشهيرة على بلاد النوبة[٤] .

ثم حكم بعد ذلك فرعون اهتم المؤرخون بتسجيل أخباره وقد ذكره ابن إياس باسم « طوطيس »[٥] وذكره المسعودى باسم لوطيس بن ماليا[٦] وأهمية هذا الفرعون فيما ذكره عنه المؤرخون أن سيدنا إبراهيم دخل أرض مصر فى عهده فى ظروف مجاعة كانت قد عمت ببلاد الشام وكانت برفقته زوجه ساره التى حسنت فى عين الفرعون وطمع فيها وكان إبراهيم قد أخبر القوم بأنها أخته ولما حاول الفرعون أخذها تيبست يده فعرف بعد

(*) إن صح هذا التطابق يكون نطق المؤرخين العرب للإسمين أقرب للصحة عما نطقه المؤرخون الكلاسيك مثل سوفس (خفرع) ومنكيرس أو ميسرينوس عند مانيتون لمنكاورع .

(١) جاردنر ، مصر الفراعنة ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ وقد ذكره مايتون باسم منكيرس ، المرجع السابق ص ٤٧٣ .

(٣) المقريزى ، تقويم البلدان ص ٢٣٦ .

(٤) Gardiner, Egypt of the pharaohs, 78 .

(٥) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٧٩ .

(٦) المسعودى ، المرجع اللسابق ص ٣٥٨ .

ذلك بأمرها ورجع عن أمره وأعادها إلى إبراهيم ثم أكرمه وأعطاها هاجر المصرية جارية لها وهى رواية تتفق مع رواية التوراة غير أنها لم تذكر اسم الفرعون[١] ، ويصعب تحديد الفرعون صاحب هذا الاسم وتلك الرواية غير أن هناك اسمين قد يتشابهان معه شكلاً ، الأول هو اسم الملك « چر » الذى ذكره مانيتون باسم « أتوتيس ( ) وأخبر عنه بأنه كان بارعاً فى الطب وألف كتاباً فى التشريح[٢] وذكر فى قوائم الملوك باسم « تتى »[٣] غير أن هذا الملك يبدو مستبعداً لوقوع ترتيبه قبل عصر بناة الأهرام فى الأسرة الرابعة على حين جاء طوطيس بعد سورنيد ومن تلاه ممن نسب إليهم بناء الأهرام .

أما الاسم الثانى فلعله يكون « تتى » أول ملوك الأسرة السادسة ، غير أنه لا يوجد من أخبار عهده ما يجعل هذا الربط ممكنا غير أخبار مجاعة حلت بالمنطقة وصورت على جدران الطريق الصاعد لهرم سلفه الملك ونيس آخر ملوك الأسرة ٥ .

حكم العماليق لمصر ومن نسب إليهم من الملوك :

وبعد هذه المجموعة السابقة من الملوك تأتى فترة هامة وبارزة حكم فيها مصر مجموعة من الملوك وصفهم المؤرخون باسم العماليق وذكروهم بأسماء سامية عربية وجاء فى أخبارهم أنه بعد أن مات طوطيس لم يكن له إبناً ولداً فحكمت من بعده إبنه له هى خروبا[٤] (أو جروبا) ثم حكمت بعدها إبنه عمها « زالفا » بنت ماموم بن ماليا[٤] وبعدها غزا العمالقة مصر وكان أول من حكم منهم هو الوليد بن دومع الذى طغى وتجبر بعد أن ملكوه وأكله السبع[٥]. أما ابن إياس فيذكر عن هذه الفترة، أنه تولت نونيه الكاهنة ثم بعدها إبنه عمها زلفا إبنه ماموم بن ماليا ثم استولى على الحكم بعدها «مرقونس» وبعد أن هلك أتى إلى مصر العمالقة وغزوا أهلها وملكوها فحاربهم الوليد بن دومع وانتصر عليهم ورحلوا عن مصر فملكه أهل مصر عليهم لشجاعته غير أنه طغى وتجبر بعد ذلك فأكله السبع[٦] .

أما المسعودى فيذكر أن بعد حوريا بنت لوطس حكمت الملكة ماموم (يقصد زالفا بنت ماموم) فطمع ملوك الأرض فى مصر بعد أن ملكها النساء وسار إليها من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فغلب على الملك واستقام له الأمر[٧] .

(١) التكوين ١٢/ ١ - ١٩ . (٢) عبد العزيز صالح ، آثار مصر وحضارتها ص ٢٩٨ .
(٣) جاردنر ، المرجع اسابق ص ٤٦٦ .
(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ١٢، ١٣، وذكرها المسعودى، المرجع السابق باسم حوريا بنت لوطس .
(٥) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق . (٦) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٧٨ .
(٧) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٨ .

ثم تولى من بعده فرعون حظى باهتمام معظم المؤرخين وذكروه باسم الريان بن الوليد (وخطأ باسم الوليد بن الريان) وأشاروا إلى أنه هو ابن الملك السابق (الوليد بن دومع العملاقى) وأهمية هذا الفرعون فى أن المؤرخين ذكروه على أنه هو «فرعون يوسف» فذكر ابن إياس أن الريان بن الوليد هو فرعون يوسف وأن وزيره قطغير هو الذى اشتراه[١] وأنه هو الذى أخرج يوسف من السجن بعد أن فسر له الرؤيا المعروفة وكان عمره ثلاثون عاماً[٢] وهو الذى طلب منه تعمير الفيوم وبناء سد اللاهون وذكر أنه فى عهده دخل يعقوب وبنيه مصر وكان عددهم ٩٣ نفساً (أو ٧٠ نفساً رجلاً وإمرأة)[*] وأنهم خرجوا من مصر ٦٠٠ ألف نفس وأن يوسف أسكنهم بين الفرما وعين شمس[٣] وروى أنه لما أدخل يوسف أباه يعقوب علي الفرعون عظمه وأجله غير أن ساحر الفرعون يقال له «بمين» حذر الفرعون بعد أن حاوره من أن هلاك البلاد سيكون فى ذريته غير أن الفرعون لم يكترث لما علم أن ذلك لن يكون فى أيامه[٤] .

ثم استقر المقام ليعقوب وبنيه فى مصر ثم مات فيها وحنط ونقل إلى حبرون[٥] ودفن هناك وهذا يتفق مع رواية التوراه[٥] ثم نعرف مزيداً من الأخبار عن هذا الفرعون من المقريزى الذى ذكره باسم « نهراوش » كما يسميه القبط وقال أنه كان عظيم الخلق جميل الوجه وأنه كلف أمور دولته لرجل ذكره باسم « أطفين » بينما تفرغ هو للهوه ، وظل على ذلك وأطفير يدير أمور البلاد إلى أن تعرضت مصر لغزو من قبل ملك من ملوك العماليق فجهز له العزيز جيشاً بقيادة « برياتس » إلا أنه هزم فجاء الناس إلى نهراوش فخرج بجيش كبير قوامه ٦٠٠,٠٠٠ جندى فهزم العمليق وتبعه إلى بلاد الشام ثم خاض سلسلة من الحروب شرقاً وغرباً وجنوباً حتى وصل قرطاجه وبلغ مصب البحر الأخضر إلى مصب بحر الروم ووصل الأندلس ، أما عن حروبه فى السودان فأسرف فيها نقلاً عن ابن وصيف شاه وبكثير من التفصيل والخيال فقال أنه لم يترك مكاناً فى السودان إلا وترك أثره

---

(١) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٨١ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٣ .

(*) والرقم الأخير يتفق مع ما جاء فى التوراة ، التكوين ٤٦ ، ٣٧ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٧ ، وذكرتها التوراه باسم أرض جاسان (التكوين ، ٥٠) .

(٤) المرجع السابق ص ١٧ ، ١٨ ، اسم الساحر بمين اسم مصرى لعله يقرأ(بامين P3 - Mnw) وقد ذكره المقريزى باسم بهمن ، المرجع اسابق ص ٣٤٩ .

(٥) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ١٧ ، ١٨ ، التوراة والتكوين ٥٠/١ - ٤ .

فيه وأنه أقام فى دنقله صنماً وسجل عليه اسمه ثم عاد إلى منف حيث استقبل بالفرح والسرور والرياحين بعد غيبة ١١ عاماً وعاد بعد أن خافه كل الملوك وفى عهده اشترى أطفير يوسف[١] وباستعراض هذه الأخبار الأخيرة نجد أنها تتفق إلى حد كبير مع الأخبار التى ذكرها هيرودوت وديودورس عن الملك الأسطورى « سيزوسترس » وضخمت أعماله وأخباره بحيث أطلق عليه « البطل قاهر العالم »[٢] الذى أخضع كل آسيا فى ٩ سنوات وكذا أوربا حتى تراقيه وشاد فى كل مكان ما يخلد حياته ، وهى أخبار تتناسب إلى حد ما مع الملك العظيم سنوسرت الثالث الذى وصل بحدوده الجنوبية حتى الجندل الثانى[٢] وأنه أقام قلعة سمنه فى مقابل قلعة قمة وثبت حدود مصر الجنوبية عندها ووضع على لوحة الحدود الشهيرة له . القواعد والأسس التى تنظم تحركات وتنقلات النوبيين والقبائل الزنجية كما حفر قناة جديدة عند جزيرة سهيل فى الجندل الأول[٣] وقد أصبح هو نفسه مؤلها فى بلاد النوبة[٢] وفى حدود مصر الشرقية كان أيضاً لسنوسرت الثالث نشاط عسكرى تتفق أخباره مع ما ذكر من قبل من أخبار معارك الوليد بن الريان ، ففى أيام سنوسرت ٣ حدثت تحركات مريبة قرب حدود مصر الشمالية (الشرقية) فاستخدم القوة العسكرية وترأس أغلب حملاته بنفسه وقادها إلى أواسط فلسطين وكان له معركة قرب سكيم أو سشم الحالية[٤] .

ومن الأخبار التى نسبت للوليد بن الريان وذكرت من قبل اهتمامه بتعمير الفيوم وبناء سد اللاهون وهى أعمال ارتبط تنفيذها بالفعل بعصر الأسرة الثانية عشرة وإن كان بناء السد ينسب إلى سنوسرت الثانى[٥] .

من ناحية أخرى ربط المقريزى بين كل من الوليد بن دومع والريان بن الوليد وبين مدينة عين شمس التى نسب بناءها إلى أحدهما[٦] وخلف هذه الرواية ربما تكمن حقيقة

(١) المقريزى ، المواعظ والاعتبار ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) جاردنر ، مصر افراعنة ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٤٨١ (هامش) . أفاض ديودور الصقلى فى الحديث عنه فذكر أنه نشأ على طبيعة الحرب من صغره وأنه فتح بلاد العرب والحبشة والهند وبلغ البحر الأسود، وعنه ذكر مانيتون أنه كان يهتم بتسجيل أحوال الناس أينما ذهب ، وهذا كله انعكاس لما حققه هذا الفرعون من مكانه فى العصور الفرعونية ذاتها حتى أن تحتمس الثالث قد عظمه وخلده ، انظر عبد العزيز صالح ص ١٩٩ .

(٣) جاردنر ، المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٤) عبد العزيز صالح ، مصر والشرق الأدنى ص ١٩٨ ؛ نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديمة (مترجم عن الفرنسية) ص ٢١٧ القاهرة ١٩٩٣ .

(٥) نيقولاجر يمال ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٦) المقريزى ، المرجع السابق ص ٢٢٩ .

تاريخية تتمثل فيما نعلمه مـن الاهتمام الخاص الذى أبداه سنوسرت الأول وغالباً من تلاه بمدينة عين شمس وتبقى من نشاطه هناك مسلته الشهيرة بالمطرية[١] .

وأخيراً يتبقى استعراض بعض الأسمـاء التى ترددت فى سياق قصة يوسف . من بين هذه الأسماء اسم قطفير[٢] والذى ذكر فى مواضع أخرى « أطفين » وذكرته التوراة « فوطى فار »[٢]. هذا الاسم واضح أنه اسم مصرى قديم لعله يقرأ p3 - di - f-hr « عطيه حور » وليس p3-di-f Rc كما يُظن استناداً إلى أن التوراة قد فرقت بين الاسمين فذكرت الأول « فوطى فار » كما جاء من قبل بينما ذكرت اسماً آخر هو « فوطى فارع » وهو كاهن «أون» الذى تزوج يوسف إبنته « أسنات »[٣] وواضح أن هناك فارق بين الاسمين وأن الثانى أقرب إلى p3-di-f-R^{c} « عطيه رع » . وهذين الإسمين كانا من الأسماء التى شاعت فى العصر المتأخر وليـس فى عصر الدولة الوسطى وقـد وردت لهما مترادفات (ولكن بـدون الضمير المتصل f) على النحو التالى :

[٤] p3-di-Hr ; [٤] p3-di-Rc

ويستدل من ذلك أن اسم « فوطى فار » الذى ورد فقط فى نص التوراة ورددته بعض مصادر الـتراث (قطفـير) والتزمـت مصادر أخرى بكـنيته الـتى وردت فى القـرآن الكريم (العزيز) ماهو إلا اسم دخـيل على قصة يوسف التى يفترض أن أحـداثها جرت فى عصر الدولة الوسطى .

أما زوجة العزيز فقد ذكرتهـا مصادر التراث باسم زليخا[٥] وقد ذكرها الطـبرى باسم يهودى وهو راعيل فقال « أن الريان قد زوج يوسف من راعيل زوجه أطفير[٦] بعد أن عزله

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ١٨٧ .

ويمكن تفسير نسبة أوجه النشاط العديدة الحربية والمعمارية جميعها للوليد بن الريان على حين أن منها ما ينسب إلى سنوسرت الأول أو الثانى أو الثالث هو الخلط فى نسبه اسم سيزوستريس إلى أى منهم انظر عبد العزيز صالح ، المرجع السابـق ، جاردنر المرجع السابق ص ١٥٧ ، ويتـفق تقريبا مع هذا رأى مماثل - لماسبيرو يرجع فيها شخصية سنوسـرت الثالث الأسطورية للمزج بين ملكين من ملوك الأسرة ١٢ . انظر المرجع السابق ص ٢٨٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ١ ص ٢١٠ ، سفر التكوين ٣٩/ ١ - ٢٣ .

(٣) التوراة ، سفر التكوين ٤١/ ٤٤ - ٥٣ . (٤) H. Ranke, Personennamen, I, 124

(٥) ابن كثير ، المرجع السابق ص ٢٠٩ (ذكر زوجها باسم « أطفير » .

(٦) أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ٣٩٠ ، ٣٩١ .

وولى مكانه يوسف وقد وجدها عذراء لأن قطُفير كان عنيناً وقد ولدت له أفرايم ومنسا[١].

أما التوراة فقد ذكرت أن الفرعون أعطى يوسف «أسنات» إبنه فوطى فارع كاهن «أون» زوجه له[٢] وهذا يعنى أنها امرأة أخرى غير زوجه العزيز «فوطى فار». ويتفق مع هذه الرواية أيضاً ما ذكره ابن عبد الحكم من أن يوسف عليه السلام قد تزوج بنت صاحب عين شمس[٢].

وقد عاش يوسف بعد الريان بن الوليد وعاصر الملك التالى بعده الذى ذكرته المصادر باسم دارم بن الريان وذكره المقريزى باسم آخر هو « درمجوش » وذكر بأنه حاد عن سنه ابنه[٣] وذكره ابن عبد الحكم بمرادف آخر هو « دارما » وأخبر عنه أنه بعد يوسف طغى وتجبر وعاد لعبادة الأصنام[٤] ثم مات يوسف ودفن فى مصر ووضع فى تابوت من (صندوق من حديد) عند جانب من النيل[٤] وظل كذلك حتى أخذ رفاته بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام[٥]. أما أبو الحسن الوزان فقد ذكر أن قبر يوسف كان يوجد فوق فرع النيل (بحر يوسف) وأن هناك بناء عريق فى القدم يسمى قبر يوسف دفن فيه قبل أن ينقل اليهود جثته إلى مقابر أسلافه ويفترض مترجم وصف أفريقيا أن المقصود بهذا القبر هو ربما مدفن الفرعون أمنمحات الثالث القريب من هرم هواره وهذا ليس إلا معبد التيه الشهير[٦].

وقبل أن نسترسل فى الحديث عمن تلا الريان بن الوليد من فراعنه وما جاء فى وصف معظمهم بالقسوة والظلم ، نلاحظ أنهم جميعاً بما فيهم الريان بن الوليد ومن قبله الوليد بن دومع وصفوا بأنهم قوم من العماليق من خارج مصر مثلما جاء فى أكثر من موضع أن العمالقة طمعوا فى المصريين وغزاهم الوليد بن دومع وانتصر على أهل مصر وطغى وتجبر[٧] ، ثم ذكر فى موضع أخر أن أهل مصر كثروا فطمع فيهم ملوك الأرض فسار إليهم من الشام ملك من العماليق هو الوليد بن دومع واستقر فى مصر وغليها[٨].

---

(١) ابن كثير المرجع السابق ١٢٠ ، كذلك ابن إياس المرجع السابق ص ٣٦ اعتبر زليخه زوجه يوسف.
(٢) العهد القديم ، السفر السابق ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٤ .
(٣) المقريزى ، المرجع السابق ص ٣٤٤ .
(٤) ابن عبد الحكم، المرجع السابق ص ١٩، وذكر المقريزى (المرجع السابق) أنه دفن فى تابوت من رخام.
(٥) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ٢١ ، ٢٢ ، المقريزى المرجع السابق ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
(٦) أبو الحسن الوزان ، المرجع السابق ص ١٩٠ . (٧) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ١٢، ١٣ .
(٨) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٨ .

ومن ثم لابد أن نتناول بالبحث تحديد هذا الجنس الغازى المشار إليه بالعماليق ومدى صحة نسبة الملوك السابقين إليه .

من خلال تلك الإشارات المتفرقة السابقة نستطيع أن نستخلص أن جنساً غازياً وصف بالعماليق قام بغزو مصر فى أعقاب فترة من الاضطراب السياسى خلا فيها عرش مصر من وريث ملكى وتولت الحكم إحدى الملكات وأن هؤلاء الغزاه قد قدموا من بلاد الشام وأنهم وصفوا بالطغيان والتجبر وبناء عليها نستطيع أن نفترض أن هذا غزو يتفق زمنياً وتاريخياً وشكلاً مع غزو الهكسوس لمصر فى نهاية الدولة الوسطى بعد تدهور الأوضاع فى نهاية الأسرة الثانية عشرة بعد وفاة أمنمحات الرابع وتولى الملكة « نفروسبك »[1] .

وهنا يبرز التساؤل لماذا أطلق عليهم المؤرخون لفظ العمالقة وذكروا ملوكهم بأسماء عربية والرد على هذا التساؤل ربما يتمثل فيما نعرفه من أنه قد صاحب دخول الهكسوس مصر دخول جماعات أمورية سامية من سكان بلاد الشام نزحت تحت ضغط هجمات الهكسوس وتحركات الشعوب الهندوأوربية على بلاد الشام وتجمعهم سوياً على حدود مصر الشرقية إلى أن سنحت الفرصة للغزو الكامل[2] هذا إلى جانب ما عرف عن الهكسوس من القسوة والعنف والوحشية فى غزوهم إلى غير ذلك مما رواه عنهم مانيتون[3] وهى صور لعلها كانت شائعة لدى المؤرخين العرب عن العماليق الأشداء .

وأخيراً فإن ربط الهكسوس بالعماليق يتفق مع أحد الأراء القديمة القائلة برد أصل الهكسوس إلى شبه الجزيرة العربية[4] .

ثم يبرز التساؤل الثانى فى كيفية تفسير نسبة الريان بن الوليد وأبوه من قبل إلى هذا الجنس الغازى وهو ما يتعارض مع تحقيقه بسنوسرت الثالث وتفسير ذلك يمكن رده على ما أظن إلى خلط لدى المؤرخون بين أحداث الفترة المعاصرة للريان والتى تلتها وخصوصاً ما أتصف به هذا الفرعون الذى حققناه بسنوسرت الثالث من قوة وسعه نفوذ وعلاقاته المتشعبة بالساميين ويوسف وقومه .

---

(١) جريمال ، المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٢) عبد العزز صالح ، مصر والشرق الأدنى القديم ص ٢٠٦ ، يلاحظ شيوع الأسماء السامية بين هذه الجماعات المهاجرة مثل عبد يعقوب وعناتهر .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

ويزكى ذلك ما جاء على لسان بعض المؤرخين أنفسهم فرق بعضهم بين حكم الريان بن الوليد وحكم العماليق فيقول الطبرى على لسان ابن اسحاق أنه بعد أن قبض الله يوسف هلك الملك الذى كان معه « الريان بن الوليد » . وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر فنشر الله بها بنى اسرائيل »[1] وهذا يعنى أن حكم العماليق جاء بعد أيام الريان بن الوليد وأن دخول بنى اسرائيل كان مع دخولهم وهذا يتفق مع رواية يوزيفوس عن مانيتون[2] .

ونضيف إلى ذلك ما ذكره المقريزى من أنه فى أيام الريان بن الوليد كانت هناك محاولة من قبل العماليق لغزو مصر . حينما سار أحد ملوك العماليق ذكروه باسم « أبو قابوس عاكر بن يخوم » غزو مصر فجهز له العزيز جيشاً هُزم أمامهم وبعدها خرج لهم الريان بن الوليد وبدأ سلسلة حروبه المنتصرة شمالاً وجنوباً[3] وهذا يعنى أن الريان قد حارب العماليق وبالتالى ليس منهم ، وأخيراً ما ذكره ابن إياس أن أبو الريان نفسه « الوليد بن دومع » الذى ذكر فى مواضع كثيرة أنه من العماليق ، قد حارب العماليق حتى كسرهم[4] ورحلوا عن مصر .

وهكذا يمكننا أن نخلص مما سبق بأن تلك الفترة التى أشار إليها المؤرخون بحكم العماليق تتفق فى الغالب مع فترة حكم الهكسوس لمصر وما طبع عنهم خلالها من طغيان وتجبر وهو ما عبر عنه المسعودى بوضوح «وطمع فيهم ملوك الأرض فسار إليهم من الشام ملك من العماليق . . . واستقر فى مصر وغلبها » .

ولا نعلم كثيراً عن هذه الفترة (فترة الهكسوس) ومن حكم فيها .

خروج العماليق ودوره تاريخية جديدة :

ننتقل بعد ذلك لفترة تاريخية تالية سوف نتوقف أمامها كثيراً لإرتباط بعض أسماء الملوك فيها وأحداثها بقصة سيدنا موسى وخروج اليهود من مصر ولأنه لأول مرة تطالعنا

(١) الطبرى ، المرجع السابق ص ٣٣٣ .

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٣) المقريزى ، المرجع السابق ص ٣٤٢ ؛ يلاحظ خروج سنوسرت الثالث بنفسه على رأس حملاته (انظر جاردنر المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٤) ابن إياس ، المرجع السابق ص ٧٨ .

المصادر العربية باسم فرعون مصرى بصورته الصحيحة كما سيأتى . ولقد اختصر بن عبد الحكم أحداث الفترة السابقة والانتقال للفترة التالية قائلاً : « أنه بعد أن مات يوسف استعبد أهل مصر بنى إسرائيل وذكر أنه قد حكم مصر (بعد دارم بن الريان) ملك ذكره باسم « كشم بن معدان » وكان جباراً ثم ملك مصر من بعده فرعون موسى واسمه طلما (ضلما ، طلمى)[1] .

ثم يقدم لنا المسعودى مزيداً من التفصيل عن الفترة التالية وبشكل فريد ملفت للانتباه فيقول «وقد ملك مصر بعده (يقصد دارم بن الريان) « كامس بن معدان » العملاقى ثم ملك بعده « الوليد بن مصعب » وهو فرعون موسى وأنه كان يعرف بظلما[2] .

ثم يحدثنا ابن جرير الطبرى عن ذات الفترة فى سياق حديثه عن قصة سيدنا موسى فيقول : أن فرعون مصر فى وقته كان « قابوس بن مصعب » ولما مات قام أخوه « الوليد بن مصعب » وكان أعتى من قابوس وأكثر وأفخر[3] .

ونلخص ما سجله هؤلاء المؤرخون الثلاث عن ملوك هذه الفترة بصورة أوضح على النحو التالى :

بن عبد الحكم	المسعودى	الطبرى
١ - كشم بن معدان	١ - كامس بن معدان	١ - قابوس بن مصعب
٢ - خليفته . . . . طلما / ضلما	٢ - خليفته الوليد بن مصعب (ظلما)	٢ - خليفته الوليد بن مصعب أخوه

واضح مما سبق أننا أمام أسماء متعددة لملكين إثنين :

الأول ورد اسمه صراحة : « كامس بن معدان » ثم ورد اسمه بشئ من التحريف « كشم بن معدان » (إقلاب الاسم وإبدال السين شين) .

أما الثانى فهو خليفته المذكور صراحة باسم الوليد بن مصعب ثم بكنيته ظلما ويكون هو نفسه الذى جاء بكنيته فقط (ضلما / ظلما . . .) كخليفة لكشم بن معدان وهو نفسه الذى جاء بإسمه الصريح الوليد بن مصعب» كخليفة لقابوس بن مصعب (عند الطبرى) .

(١) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٨ .
(٣) الطبرى ، المرجع السابق ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وعليه يكون قابوس بن مصعب إسماً مرادفاً بشئ من التحريف لكامس بن معدان . ويكون بالتالى كامس بن معدان أو ابن مصعب (أياً كان اسم أبيه) وخليفته أخوه « الوليد بن مصعب » هما الفرعونين الذين عاصرا سيدنا موسى والثانى منهما حسب المصادر العربية هو فرعون موسى[1] وبالتالى فرعون الخروج .

وبناء على توقيت حكمهما وتتابع ملكهما وأن الثانى أخو الأول ، ثم ارتباط اسميهما بفترة الأحداث التى صاحبت وجود سيدنا موسى فى مصر ثم خروج بنى إسرائيل من مصر(*) وانتهاء حكم العماليق أو بلفظ آخر الهكسوس(*) ، فإنه يمكن أن نفترض وبشئ من الحذر أن « كامس بن معدان / مصعب » ماهو إلا « كامس بن سقنرع » أحد أبطال حرب التحرير ضد الهكسوس[2] وأن خليفته أخيه « الوليد بن مصعب » (فرعون موسى فى رأى المؤرخين) ليس إلا أحمس الأول قاهر الهكسوس ومخلص مصر منهم .

ويأتى هذا الاستنتاج فى مصادفة غريبة متفقاً مع رواية مانيتون عن الملك تثموزس (فى رواية جوزيفوس) مختلطاً مع أموس (فى رواية أفريكانوس) وأموزس (فى رواية يوسيبوس) إشاره إلى الملك أحمس الأول أنه هو الذى طرد الرعاه[3] .

ولا نريد أن نقرر بهذا الاستنتاج أن أحمس الأول هو بالفعل فرعون الخروج وإنما فقط تحقيق أن الفرعون المذكور باسم الوليد بن مصعب (فرعون موسى) فى مصادر المؤرخين العرب هو نفسه أحمس الأول وهو أمر يبدو متفقاً مع رواية يوسيفوس اليهودى التى أشرنا إليها عن الربط بين الهكسوس والعبرانيين وخروجهم ، فى عهد أحمس الأول . وهو استدلال إن صح فإنما يؤكد أن المؤرخين العرب قد استندوا فى هذا الموضوع على

(١) المسعودى ، المرجع السابق ؛ ابن عبد الحكم ، المرجع السابق .

(*) ذكر ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ١٧ ، أن يوسف أسكن قومه ما بين الفرما وعين شمس وهو ما يتفق تقريباً مع مناطق تجمع الهكسوس وأن عددهم عند الخروج بلغ ٦٠٠,٠٠٠ ، وهو عدد يشمل الهكسوس واليهود مجتمعين وهو عدد يكاد يقترب من ضعف العدد الذى ذكره يوسيفوس عن أسلافه اليهود فقط ٢٤٠,٠٠٠ شخص (عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢١٣) وربط بين دخول العبرانيين مصر مع الهكسوس كفئة تابعة لهم (مع دخول يوسف) ثم خروجهم معهم بعد جلائهم عن مصر (المرجع السابق ص ٢٠٥) .

(٢) راجع عن تفاصيل معاركه مع الهكسوس ووصفه لهم فى لوحة كامس بالكرنك ، عبد العزيز صالح، المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٣) جاردنر ، المرجع السابق ص ٤٩٠ .

حقيقة تاريخيـة ثابتة ومتواتـرة لديهم أو أنهم قـد استندوا فى تاريـخهم لهذه الفـترة على كتابات المؤرخين والكلاسيك (أمثال يوسيفوس وغيره) ورجعوا إليها مع تغير الأسماء وهذا هو الأقرب إلى الاحتمال .

ويتبقى بعد أن نشير هنا إلى بعض أخبار لها أهـميتها ارتبط ذكـرها بفرعـون موسى « الوليد بن مصعب » .

أولاً فيما يتعلق بكنيته طلما ومترادفاته طلما وظلما لا أجد احتمالاً له غير تقريبه إلى اسم تثموزس الذى جاء فى كتابه خاطئه لأموزس فى رواية جوزيفوس وحرف التاء يكتب دائماً طاء فى المصادر العربية .

ثم هناك إشارة فريدة رددتها معظم مصادر المؤرخين وهى أن زوجة الوليد بن مصعب فرعون موسى كانت مؤمنه وكانت من المبشرين بالجنة وقد مدحها الله فى القرآن . وذكروا أن اسمها هو « آسية »[١] وكانت هى التى تبنت موسى بعـد إخراجه من اليم وتقبلت أمه كمرضعة له[٢] . ويتحـدث ابن جرير الطـبرى عنها بمـزيد من التـفصيل فيـذكر أن إمرأة الفرعون كان اسمهـا « آسية بنت مزاحم » وأرجع أصلها إلى فرعـون يوسف وقد تزوجها بعد أخيه[٣] ثم عاد وأضاف عنها خبراً آخر فيه تناقض فذكر أنها كانت من قوم موسى وأن الفرعون تزوجها بعد أن أزل قومها[٤] وعنها نقول إن صحت هذه الـرواية وهذه التفاصيل أن اسـم هـذه الملكة زوجه الفرعون هو اسم مصـرى قديم لعله يمكن تقريبه بسهـولة إلى « إيسه أو إزيس » . ولو اسـتعرضنا أسماء ملكـات مصر فى هذه الفترة ممن تـسمين بهذا الاسم فلـن نجد (فى حدود الـوثائق) إلا زوجة الملـك تحتمس الثـانى الثانـوية (أو احدى محظياته) المـلكة « إيسه » أم الملك العظيم تحـتمس الثالث[٥] والذى يضعه بعـض الباحثين ضمن الملوك المحتمل ربطهم بفرعون الخرج[٦] .

(١) ابن إياس الحنفى ، المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣٦ .
(٢) إبن كثير ، المرجع اللسابق ص ٢٤٠ .
(٣) ابن جرير الطبرى المرجع السابق ص ٣٣٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٣٥ .
(٥) جريمال ، المرجع السابق ص ٢٦٤ .
(٦) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢٥٥ .

ثم هناك ملكتان أخريتان باسم مركب هو «إزس نفرت» الأولى هى زوجة رمسيس الثانى وأم إبنه وخليفته مرنتاح والثانية بنفس الاسم هى زوجة مرنتباح[1] الذى يعتبر هو أيضا أحد الفراعنة الذين يربطهم الباحثون بفرعون الخروج .

ورغم وجود هذين الاسمين وإرتباطهما بشكل مباشر بمرنتباح الذى يأتى فى المقام الأول لدى معظم الباحثين ومنهم جريمال[1] إرتباطاً بخروج بنى إسرائيل إلا أن الباحث يرى استبعاده كفرعون للخروج فالباحثون الذين ربطوا بين مرنباح وفرعون الخروج اعتمدوا أساساً على الإشارة الوحيدة إلى إسرائيل التى جاءت على لوحته الشهيرة وهى إشارة هى فى الواقع دليل براءته فهو يقول بالحرف الواحد « أنى قضيت على بذرة إسرائيل فى الأرض» ، ولم يكن يستطيع هذا بالطبع بعد غرقه : أيضا من الثابت أن ضربه للإسرائيليين كان خارج أرض مصر وليس فيها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإسرائيل التى ذكرت على اللوحة وردت بمخصص البلاد الأجنبية أو القبلية ولم يسجل بمخصص المدينة المستقرة كبقية الشعوب الأخرى وهذا يدل على أن شعب إسرائيل لم يكن قد استقر بعد وفى مرحلة تكوين الدولة (الاستيلاء على أريحا كان فى عام ١٢٥٠ ق. م تقريباً) ونعلم فى نفس الوقت أن الأحداث التى سجلت على هذه اللوحة وقعت فى العام الخامس من حكم مرنبتاح وإذا ما أنقصنا على الأقل الأربعين عاما التى قضاها بنو إسرائيل فى التية بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم أرض فلسطين ، فإننا سوف نصل إلى العام الثانى والثلاثين من حكم رمسيس الثانى الذى كان ينعم فيه بالتأكيد بحياته بل أنه بعد عامين (فى عام ٣٤) تزوج من إبنه خاتو سيلاس ملك خاتى[2] وبالتالى يبدو رمسيس الثانى أيضا مستبعداً كفرعون للخروج ولعله من الغريب أيضا أن تغفل المصادر الحيثية المعاصرة الإشارة وإلى مثل هذا الحدث فى أيام رمسيس ؟ رغم المراسات العديدة المتبادلة بين طيبة وبوغازكوى .

وعليه تظل أيسه زوجة تحتمس الثانى هى الأكثر احتمالاً ، ولو صح تحقيق إسمها مع الملكة أسيه فى المصادر العربية فيكون علينا إما أن نضع تحتمس الثانى أيضا موضع الاحتمال بالنسبة لفرعون الخروج أو أن نفترض وجود زوجة أخرى ثانوية لأحمس الأول

(١) جريمال المرجع السابق ص ٣٥٠ .

(٢) جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

غير أحـــموسة نـفرتارى لم يـعثر على إســمها أو أثار لـــها وهو أو غيـر مستبـعد وأقرب للإحتمال .

ويتبـقى بعض إشـارات بسيطـة تتعلـق بأوصاف وأصل فـرعون موسى لا بـأس من ذكرها. فقـد وصفته بعض الروايـات بأنه كان قصيراً أبرشـاً وعن أصله اختلفـت أقوالهم فذكرت روايات أنه كان من العماليق وأخرى أنه كان من لخم من الشام وأخيرة أنه كان من القبط[1] وهذا هو الأصوب .

(١) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٨ .

أحداث ما بعد الخروج والفترة التاريخية التالية :

ونتناول بعد ذلك بالبحث الفترة التالية التى أعقبت غرق فرعون وآله وعن هذه الفترة ذكر المؤرخون أنه بعد هلاك فرعون ورجاله لم يبق أحد من الرجال من يتولى حكم مصر فتسلمت الحكم ملكه حظيت بشهرة واسعة وأفاضت مصادر التراث الإسلامى فى الحديث عنها وعن أعمالها الهامة الجليلة فى سبيل حماية مصر والحفاظ عليها وعرفت هذه الملكة باسم غريب هو دلوكه[1] ، ويبدو أنها قد ظلت فى الحكم أمدا طويلاً حتى أنها لقبت بالعجوز وحكى المؤرخون عنها وعن أعمالها العجيبة الكثير غير أن أهم ما نسبوه لها هو أنها بنت حائطاً أو سوراً عظيماً يحيط بالبلاد وعليه حراسة ورجال ويعرف هذا البناء باسم حائط العجوز وذكروا أن أثره مازال باقياً إلى أيامهم (عام ٣٣٢ هـ بالنسبة للمسعودى) وقيل أنها بنته خوفاً على ولدها وكان كثير القنص والصيد وقد حكمت دلوكه هذه حوالى ٣٠ عاماً واتخذت بمصر الكثير من البرابى والصور ويقصد أكثرت من بناء المعابد والتماثيل، وصورت فى هذه البرابى صور مناظر كل من يرد إلى مصر من كل مكان ودوابهم ، وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى العظيمة كل أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان[2] وأفاضوا فى الحديث عما فعلته من عجائب[2] .

وذكر ابن عبد الحكم فى مخطوطته فتوح مصر والمغرب تفصيلاً عن هذه الملكة فقال أن اسمها « دلوكه بنت زباء » وأنها كانت ذات عقل ومعرفة وتجارب وذات شرف وكانت بنت ١٦٠عاماً ؟ وقد وليت مصر بعد غرق أهلها ورأت حماية لمصر من طمع جيرانها فيها أن تبنى حصناً يحيط بجميع البلاد وبنت جداراً أحاطت به جميع أرض مصر (لعل المقصود أنه يحيط باحدى المدن) وجعلت عليه حراساً متصلين فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وأتمت بناءه فى ٦ أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقية كبيرة[3] وظلت مصر محمية ٤٠٠ سنة بتدبير العجوز دلوكه وقد ظلت تحكم عشرون عاماً وخلفها دركون بن بلوطس[3] .

وكرر إبن إياس عن دلوكه أخباراً مشابهة تقريباً فذكر أن اسمها دلوكه إبنه « ريا »

(١) ابن عبد الحكم ، المرجع السابق ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ٤٧ ، ٤٩ .

وكانت ذات عقل ومعرفة وكان لها من العمر ١٠٠ سنة فملكوها عليهم فبنت حائطاً من أسوان وحتى العريش وحمت به قرى مصر وضواحيها وجعلت عليه الحراسة وأثار هذا الحائط باقية إلى الآن ببلاد الصعيد ويسمى حائط العجوز وقد حكمت ١٣٠ سنة (يقصد ٣٠ سنة بعد المئة) وتولى بعدها دركون بن بلوطس[١] .

وتحقيق أمر هذه الملكة يبدو أمراً فى غاية الصعوبة لما جاء فى أخبارها من الغرابة والمبالغة وبعد عن الواقع ومع ذلك فإن فيها أيضاً ماهو جدير بالاهتمام ويستحق أن يوضع موضع الاعتبار عسى أن يكون فيها ما ييسر التعرف عليها وتحقيق شخصيتها التاريخية . فإلى جانب ما ارتبط بذكرها من أعمال الأعاجيب والسحر نجد أن معظم المؤرخين اتفقوا على وصفها برجاحة العقل والمعرفة وحسن التدبير وعظم التجارب وأنها اتبعت سياسة استهدفت منها إعادة ترتيب الأوضاع فى بلدها بعد الفوضى التى أعقبت غرق فرعون وآله وسعت إلى تأمين بلدها والحفاظ على ولدها حتى يصل إلى الحكم وأنها عاشت فترة طويلة تصل إلى ١٣٠ عاماً (لهذا سميت بالعجوز) حكمت منها فترة ما بين ٢٠ - ٣٠ عاماً وأنه قد نسب إليها إقامة عمل عمرانى هام . قد يكون سوراً أو تحصيناً حول مدينة أو سلسلة من الحصون المتصلة فى منطقة حدودية قد تشبه مثلا أسوار الوالى أو أمنحمات المبجل أو بناءً من نوع ما عرف باسم حائط العجوز ولو تدبرنا هذه الأخبار وافترضنا فيها قدراً من الصحة وأساساً من الواقع فسوف نتوقف أمام ملكتين يمكن أن تؤخذا موضع الاعتبار فى تحقيق اسم وشخصية الملكة دلوكه .

الأولى هى فى الواقع لم تكن ملكة فعليه بمعنى أنه لم يرد اسمها فى مصادر التاريخ كملكة حكمت بمفردها غير أنها حققت مكانة عالية وحظيت بحب وتعظيم كبير لدى شعبها ما لم تحظ به أى ملكة أخرى حقيقية ألا وهى الملكة «أحموسة نفرتارى» زوجة أحمس الأول الملك الذى أمكن تحقيقه فيما سبق من تخريجات بالوليد بن مصعب فرعون موسى .

ثانياً : أن أحموسه نفرتارى عاشت بعد أحمس الأول فترة طويلة استمرت حتى أيام تحتمس الأول[٢] وقد حظيت بقدر كبير من التقدير والاحترام لدى رعيتها بدأت بأن شغلت لأول مرة منصب الزوجة الإلهية أو حرم الإله والكاهن الثانى لأمون فى الكرنك وانتهت

(١) ابن إياس الحنفى ، المرجع السابق ص ٨٦ .

(٢) جريمال ، المرجع السابق ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

بتأليهها هى ذاتها وعبدت هى وإبنها أمنحتب الأول فى طيبة[1] وظلت ذكراها الطيبة كمعبوده تقام لها الشعائر حتى عهد حريحور بنهاية الدولة الحديثة .

ثالثاً : أن أحموسه نفرتارى تولت الوصاية على إبنها أمنحتب الأول وكان طفلاً عند وفاة أبيه أحمس الأول إلى أن تولى الحكم بعد ذلك .

رابعاً : أن رجاحة العقل وسعة التدبير وصفه العارفة التى نسبت إلى دلوكه هى صفات نسبتها الوثائق المصرية بالحرف للكتين شهيرتين من نفس الفترة وهما « تتى شرى » جده أحمس الأول وأمه « إياح حتب » ووصفت النصوص الأولى بالعالمة والعارفة[2] ، ووصفت الثانية « بأنها ربة الأرض سيده الحانيو فى كل قطر أجنبى والتى دبرت سياسة القوم وأنها هى التى أقامت الطقوس ووضعت مصر تحت رعايتها وكانت تسهر على قواتها وتحميها ، لقد أعادت الهاربين وجمعت شمل الفارين ، لقد نشرت السلام فى ربوع الوجه القبلى وطردت المتمردين »[3] . وهى صفات ترتبط بأحداث تبدو جسيمة وأكبر من أن تكون مجرد خلاف على تولى العرش أو اضطراب فى صفوف الجيش عقب موت «كامس» ورغم أن هذه الصفات وهذه الأخبار ارتبطت بالدرجة الأولى بالجدة تتى شرى والأم إياح حوتب وليس بأحموسه نفرتارى إلا أنه ليس هناك ما يمنع من أنها قد جرت أيضاً على مر العصور على أحموسه نفرتارى التى زادت مكانتها فى قلوب المصريين حتى على أمها وجدتها فاختلطت أخبار الملكات الثلاثة فى ذاكرة الأجيال اللاحقه وخصوصاً أنهن ينتمين لنفس الوقت ونفس الظروف السياسية والاجتماعية التى عاشتها مصر .

وقد عبر أستاذنا د. عبد العزيز صالح عن ذلك باختصار : « وكانت أحمس نفرتارى قد ورثت مكانة أمها وجدتها فى عهد زوجها أحمس الأول »[4] . وفيما يتعلق بتلك الإشارة المتكررة التى تنسب للعجوز دلوكه ذلك البناء المحير الذى ذكره المؤرخون باسم حائط أو جدار العجوز والذى ظلت آثاره باقية فى الصعيد فيما رواه المسعودى حتى وقته (أى عام ٣٣٢ هـ / ق ٩٠ م) فلا أجد لها تفسيراً إلا افتراض أنه كان معبداً مسوراً أقيم لعباده أحموسه نفرتارى فى منطقة دير المدينة بالبر الغربى بطيبة أو إقامته هى وكرسته لعباده الإله تحوت لعل من بقاياه ذلك المعبد الصغير المكرس للإله تحوت كرب للقمر ويقع

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٣) المرجع السابق ، جريمال ، المرجع السابق ص ٢٥٩ .

(٤) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ص ٢١٧ .

إلى الجنوب قليلاً من مدينة هابو بالبر الغربى ويرجع إلى العصر البطلمى والملفت للانتباه أنه يعرف باسم قصر العجوز[١] وهذا المعبد يرجع بشكله الحالى إلى عصر بطليموس يورجتيس وقد صور وهو يقدم لتحوت[٢] من ويتعبد لخونس وخونس نخوت ونحم عواى وكذلك هو وكليوباترا أمام إيمحوتب ويقدمان لتحوت ولكن لم توجد اشارة للتقديم لأحموسه نفرتارى أو أمنحتب الأول . ويفترض جاردنر احتمال وجود ارتباط بين منشأ ملوك هذه الأسرة الطيبية وعبادة القمر وهو ما يظهر فى أسماء ملوكهم وارتباطها بإله القمر فى صورة عضو الثالوث الطيبى « خونس » فى أسماء إياح مس وإياح حتب . . . أو فى صورة تحوت كرب للقمر فى أسماء تحتمس . . . . وأن هذه المنطقة (حيث معبد تحوت) وبالتحديد المنطقة الغربية منها فى دير المدينة كانت مركز عبادة أحموسه نفرتارى وإبنها أمنحتب الأول وكانت تصور باللون الأسود[٣] ويحتمل أن اسم هذا المعبد أطلق على السور اللبنى الذى شيدته الملكة حتشبسوت بطول المدينة السكنية فى دير المدينة وينقل بين مدينة الأحياء والجبانه الملكية إلى القرب[*] .

أما الاحتمال الثانى فى تحقيق اسم الملكة دلوكه فيمكن أن تمثله الملك حتشبسوت «ماعت كارع» لإعتبارات عدة تشابهت فيها مع بعض ما ذكر عن دلوكه من أخبار وأوصاف . ومنها شخصية حتشبسوت القوية ودورها السياسى ومقدرتها على إدارة شئون البلاد أو الإنفراد بالحكم بعد وفاة زوجها تحتمس ٢ وتنحية إبنه تحتمس ٣ وتوليها الوصاية عليه قبل تنحيته ، وأهم من ذلك نشاطها المعمارى الضخم فى بناء المعابد مثل معبد الكرنك والدير البحرى . . . وغير ذلك ثم ما سجلته فى معبدها بالدير البحرى من مناظر رحلة بلاد بونت وما جاء فيها من مناظر الحياة الطبيعية فى بلاد بونت وتصوير الحيوانات المختلفة من زراف وقردة الخ وصور الأكواخ والنخيل فى بلاد بونت وأشكال السفن المختلفة وما أحضرته من هناك من أشجار مختلفة من المر والأبنوس[٤] وهى صور ذكر ما يماثلها عند دلوكه . وأيضاً أنها قد حكمت فترة حكم تصل إلى حوالى ٢٢ عاماً وهى مدة تكاد وتقترب من مدة حكم دلوكه ، ثم يأتى تشييدها للسور المشار إليه والذى

(١) جاردنر ، المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٢) Porter & Moss, II, 527, 530

(٣) جاردنر ، المرجع السابق ص ١٩٧ .

(*) إشارة مشكورة من أ.د. تحفة حندوسه (أستاذ الآثار المصرية بكلية الآثار) و أ.د. شتا دلان مدير المعهد الألمانى للآثار .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، عبد العزيز صالح ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

تحمل بعض قوالبه اسم « حتشبسوت التى سورت واست (طيبة)[1] قريبة لصالحها ومع ذلك فإن الشواهد ترجح كفة أحموسه نفرتارى وتحقيقها بدلوكه لإرتباطها المباشر بأحمس الأول ونفترض هنا إحتمال تداخل بين أعمال كل منهما لصالح الأولى .

خلفاء الملكة دلوكه وأحداث الفترة التالية :

ذكر المؤرخون المسلمون بعد وفاة الملكة دلوكه مجموعة من الملوك ذكرناهم من قبل (ص ٧ ، ٨) كخلفاء مباشرين لها مثل دركون بن بلوطس ومن تلاه حتى «بوله» . وفى الواقع يصعب تحقيق أسماء هؤلاء الملوك باستثناء عدد محدود منها بأسماء من تتابع فى الحكم من ملوك فى الأسرة ١٨ وبقية عصور الدولة الحديثة ومع ذلك فإن هناك احتمالاً قائماً فى وقوع عدد منها بالفعل فى عصر الدولة الحديثة على أساس أنها تتشابه شكلاً إلى حد ما مع بعض التحريف مع أسماء « مانيتون » فى روايات چوزيفوس وغيره . وعدا ذلك فالاحتمال الأقوى أن تقع هذه الأسماء فى العصر المتأخر وبالتحديد فى عصر الأسرة ٢٢ وحتى الأسرة ٢٦ . فبالنسبة للملك الأول بعد دلوكه والذى ذكره المؤرخون باسم دركون بن بلوطس وبمترادفاته دركوس ودركوش هناك احتمال لربطه شكلاً باسم «أو سركون الأول» ثانى ملوك الأسرة ٢٢ غير أنه احتمال مستبعد لخلاف ذلك مع الأحداث والواقع التاريخى والذى على أساسه لابد أن يكون الملك بوله (الملك التاسع فى الترتيب المشار إليه) هو أول ملوك الأسرة ٢٢ كما سيأتى .

هناك احتمال آخر بربط اسم دركوس بالملك الأثيوبى طهرقه فى الأسرة ٢٥ ، والذى جاء اسمه « تركوس » عند أفريكانوس[2] ولكننا فى هذه الحالة لابد أن نتخلى عن الترتيب السابق لدى المؤرخون العرب . وننتقل بعد ذلك مباشرة من دركون إلى بوله ونتوقف طويلاً أمام صاحب هذا الاسم لما لعبه من دور يتفق تماماً مع وقائع تاريخية محددة .

ذكر هذا الملك باسم بوله أو بولا بن مناكيل وذكره المسعودى بمرادف آخر هو «بلونا» ووصفه بصفة فريدة وهى فرعون الأعرج[3] .

ونسب إليه وهذا هو الأهم حادثه تاريخية شهيرة وهى أنه هو الذى سبى بيت المقدس وخربه[4] .

(١) LÄ. 6. 467 f.

(٢) جاردنر ، المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٣) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٦٤ .

(٤) المرجع السابق، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ص ٢٩، فتوح مصر والمغرب ص ٤٩، ٥٠ .

واستناداً إلى هذه الحادثة التاريخية الهامة والتى ترددت أحداثها أيضاً فى التوراه فإنه يمكننا تحقيق هذا الفرعون وربطه بمؤسس الأسرة الثانية والعشرين الملك ششنق الأول الذى ذكرته نصوص التوراة باسم شيشق الذى دمر ملك سليمان حينما هاجم أورشليم فى عهد رحبعام ابن سليمان[١] وذلك مساندة لعدوه ريبعام الذى استنجد بمصر فصعد إليه شيشق ملك مصر إلى أورشليم بألف ومائتى مركبة وستون ألف فارس من لوبيين وسكيين وكوشيين وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا والتى لأورشليم . ثم صعد إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ الجميع وأخذ أتراس الذهب التى عملها سليمان[٢] . أما التاريخ المحتمل لهذا الغزو فهو عام ٩٣١ ق. م.[١] .

ورغم الإتفاق الكامل بين كل من باوله وششنق فى هذه الحادثة التاريخية المحددة إلا أن الصلة بين الاسمين تبدو بعيدة وبلا تفسير إلا أن يكون باوله أو بلونا هو صفة أو كنيه كانت تطلق على ششنق ربما بمعنى « الأعرج » وهى الصفة التى كانت تطلق بالفعل عليه .

لكن الثابت أنه شخصية تاريخية حقيقية ربما يؤكد وجودها ما أخبر به المؤرخون عنه من أنه قد أصيب فى نهاية حكمه (بعد فترة حكم طويلة ومبالغ فيها ١٢٠ عاماً) بالجنون وتخلص منه قومه ، وأصبح يضرب بن المثل فى قولة شهيرة كان الأقباط يرددونها إذا كُلم أحدهم بما لا يريد « شجناك من بوله » وذكرها محقق مخطوطة بن عبد الحكم بنصها القبطى هكذا ⲩⲁⲃⲉⲛⲁⲕⲛⲉⲛⲡⲁⲩⲗⲁ[٣] وهى جملة لعلها تعنى دع بولا يخبرك (حرفياً : تحدث مع بولا) يعنى ربما بما وقع له . . (يقلدون بها المعنى العامى : « بعد الشر » ولا أدرى مصدر محقق المخطوطة فى النص السابق .

أما الملك التالى فى الأهمية وبه ننتقل غالباً إلى الأسرة ٢٦ مباشرة فهو نقاس بن مرينوس[٤] وذكره ابن عبد الحكم « لقاس بن مرينوس »[٥] هذا الملك رغم أنه ينتمى بصله دم مباشره بالملك السابق حسب المصادر فهو ابن مرينوس ومرينوس هو ابن بوله الذى

(١) جاردنر ، المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(٢) العهد القديم ، أخبار الأيام الثانى الأصحاح ١٢ ، ١ - ١٢ .

(٣) ابن عبد الحكم ، المرجعين السابقين ، ٣٠ ، ٥٠ .

(٤) المسعودى ، المرجع السابق ص ٣٦٤ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص ٣٩ ، فتوح مصر والمغرب ص ٥٠ ، ٥١ . وأختلف بن عبد الحكم فى الترتيب عن المسعودى فذكر إبنا آخر لمرينوس حكم قبل لقاس هو قرقورة بن مرينوس .

تولى بعد خلع أبيه وهلاكه إلا أن الاحتمال الغالب أنه لا ينتمى لهذه الأسرة ويمكن تحقيقه بشكل مباشر بالملك «نقاو» أو «نكاو» الثانى ثانى ملوك الأسرة السادسة والعشرين الذى خلف بستميك الأول وتولى الحكم فى عام ٦١٠ ق.م. وقد كانت له معارك وحروب وصل فيها إلى بلاد الرافدين حيث نجح فى هزيمة البابليين فى أيام نابو بولاسر (فى عام ٦٠٦ - ٦٠٥ ق.م) ووصل حتى الفرات قرب قرميش[١] والذى ورد ذكره فى التوراه باسم « نخو » وكان قد صعد إلى قرميش ليحارب (البابليين) عند الفرات وخرج له « يوشيا » ملك يهوذا ليحاربه فى مجدو فقتله رماة نخو[٢] .

ويؤكد هذا التحقيق والربط «بنكاو» ما جاء من أخبار الملك التالى الذى ذكره المؤرخون باسم «قوميس».

وعن هذا الملك ذكر ابن عبد الحكم « أنه بعد وفاة لقاس (أو نقاس عند المسعودى حكم بعده إبنه « قومس » وكان هذا فى أيام بخت نصر (نابوخذ نصر) الذى دمر بيت المقدس وسبى بنى إسرائيل وخرج بهم إلى أرض بابل وبقى « إرميا » فقط عند إيليا وقد أتى بعض قومه إليه ممن نجوا من السبى وعرضوا عليه الالتجاء إلى مصر والاحتماء بها وحاول إقناعهم باللجوء إلى الرب والبقاء لكنهم رفضوا وذهبوا إلى مصر ولجأوا إلى قومس واعتصموا به لقوته . وقد رفض قومس ردهم إلى بخت نصر وكان هذا سببا فى هجوم بخت نصر على مصر وغزوه لها فقتل اليهود وخرب مصر خراباً ظل ٤٠ عاماً[٣] .

وتتفق هذه الرواية مع رواية مماثلة وردت فى التوراة وأخبرت فيها عن فرعون ذكرته باسم « حفرع » فى سياق نبوءه « إرميا » بغزو نبخذ نصر لمصر وتدميرها وخرابها فيقول على لسان الرب « هئنذا أدفع « حفرع » ملك مصر ليد أعداءه وليد طالبى نفسه كما دفعت صدقياً ملك يهوذا لنبوخذ نصر ملك بابل . . .[٤] .

و « حفرع » هذا كما هو ثابت ماهو إلا اسم الملك « واح إب رع » « إبريس » والذى ورد إسمه فى تاريخ مانيتون « وافرس »[٥] وعليه نستطيع أن نقرر أن قوميس هو فى

(١) جاردنر ، المرجع السابق ص ٣٨٩ ، ٣٩١ .

(٢) الأيام ، الإصحاح ٣٥ (٢٠-٢٦) ، ٣٦ (١-٤) .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ٥٢ .

(٤) العهد القديم ، إرميا ، الإصحاح ٤٣ (٨ - ١٣ ، ٤٤ ، (٢٩ - ٣٠) .

(٥) جاردنر ، المرجع السابق ، ٥٠٢ (عند افريكانوس ويوسيبوس) . ويجدر الإشارة هنا أنه مع تطابق رواية التوراة ورواية المؤرخون العرب حول غزو نبوخذ نصر وتخريبه لمصر إلا أن المصادر المصرية ذاتها لم تتحدث عن ذلك انظر المرجع السابق ٣٩٣ .

الغالب « أبرس » مع اختلاف واحد وهو أن أبريس لم يتولى مباشرة بعد نكاو مثل تتابع نقاس ثم قوميس(وإنما تولى بعد أبيه بسماتيك الثانى[1] (ابن نكاو) فى عام ٥٨٩ ق.م. فى نفس العام الذى حاصرت فيه جيوش نبوخذ نصر أورشليم وخرج هو بجيوشه ليدخل سوريا غير أن أورشليم سقطت تماماً فى عام ٥٨٧ ق.م ودمرت نهائياً وأسر صدقيا واحد وأتباعه من اليهود إلى بابل[2] . وأخيراً فيما يتعلق باسم « قومس » فلا مجال لتقريبه لفظاً من اسم « أبريس » كما هو الحال بالنسبة لبوله وششنق فيما عدا احتمال غير مؤكد ولا بأس من ذكره أن يكون اسم قومس قد اختلط شكلاً مع اسم الملك الفارسى «قمبيز» الذى بدأ اسمه يتردد بقوة فى الفترة التالية مباشرة فى الأسرة السابعة والعشرين .

ومن عصر الأسرة السادسة والعشرين أيضاً نصل إلى آخر الأسماء الملكية وواحد من أهمها فى هذا البحث فهو ثان اسم ملكى تقريباً بعد اسم « كامس » يرد فى مصادر المؤرخين بنطقه الصحيح ألا وهو اسم الملك « أمازيس » وجاء ذلك فى سياق حديث المقريزى عن رحلة فيثاغورث إلى مصر وكان قد سعى للاجتماع بكهنه عين شمس والإنضمام إليهم فإمتحنوه ولم يتقبلوه فإتجه إلى كهنه منف ثم إلى أهل ديوسيوس وفى كل مرة كان يشددون فى إمتحانه ويقبلونه قبولاً كريهاً (على مضض) حتى يثنوه عن عزمه وفى كل مرة كان يصر على طلبه حتى اشتد إعجابهم به وذاع صيته فى مصر وبلغ ذكره إلى « أماسيس » ملك مصر فأعطاه سلطاناً على ضحايا الرب وعلى سائر قرابينهم ولم يعط ذلك لغريب قط[3] واسم أماسيس هذا يتفق بلاشك مع اسم الملك أمازيس الثانى الذى تولى بعد ذلك الملك السابق « أبريس » بعد أن حاربه وانتصر عليه وقتل فى عام ٥٧٠ ق.م[4] وواضح أن المقريزى استند فى روايته هذه إلى سند مباشر من روايات المؤرخين الإغريق الكلاسيك .

وبهذا الملك الأخير ينتهى هذا البحث .

خلاصة :

لعله قد وضح مما سبق ذلك الاهتمام الكبير الذى أبداه المؤرخون المسلمون فى بحث

(١) حكم (بسمتيك) فترة قصيرة من ٥٩٥ - ٥٨٩ ، جاردنر المرجع السابق ص ٣٩١ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٩١ ، ٣٩٣ .
(٣) المقريزى ، المرجع السابق ص ٣٢٩ .
(٤) جريمال ، المرجع السابق ص ٤٧٠ .

تاريخ مصر وتاريخ ملوكها إلى جانب اهتمامهم بوصف آثارها ولقد تعددت مصادرهم فى ذلك وتنوعت كما ذكرنا من قبل ووضح فيها الاعتماد بدرجة كبيرة على روايات التوراة وأخبارها وبنفس الدرجة أيضاً على كتابات المؤرخين الكلاسيك الذين رجعوا إلى مصادرهم مباشرة بلغاتها الأصلية بل ورجعوا أغلب الظن إلى تاريخ مانيتون فيما سجله عنه أفريكانوس ويوزيفوس وغيرهم .

ولم يتوقفوا عند ذلك بل رجع بعضهم إلى مصادر محلية حيث استمعوا ونقلوا عن أهل الخبرة والمعرفة من أهل مصر أنفسهم مثال ذلك الراهب المصرى الذى أخبر عنه المسعودى والذى قربه أحمد بن طولون وجعله فى مجلسه يحاوره هو وعلماؤه فى أمور الدين والدنيا وتاريخ مصر .

ومع ذلك فلم يخلص الأمر فى أخبار المؤرخين من إدخال عنصر المبالغة والخيال الشخصى ربما كشكل من أشكال الجذب في الرواية إلى جانب قدر من عدم الدقة والتداخل فى بعض المواضع ولكنها على أى حال لم تحل دون تلمس كثير من الحقائق والروايات التى تعتمد على سند تاريخى حقيقى .

وأهم ما يذكر لهذه المصادر إن صح ما حققه البحث فيها أنها سجلت وبشكل نادر أسماء ملوك مصريين حقيقيين أمثال كامس وأمازيس ومنكاوس وأفرؤس بل وفى حالة فريدة اسم « رعمساس » ليس كملك ولكن كاسم مدينة (ربما قصد به بررمسيس) وقد أطلق خطأ على عين شمس[1] .

(١) المقريزى ، المرجع السابق ص ٣٢٨ .